القاهرة - إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

تماسك الأسرة

المجتمع المسلم لبنات متراصة يعضد بعضها بعضا، نواتها العلاقة الزوجية الناجحة بين الطرفين، ويتحقق التماسك الأسري بالاختيار الصحيح لطرفي الزواج، والتوافق بين الزوجين، والاحترام المتبادل، وقيام كل منهما بدوره تجاه الأسرة.. وحثت الشريعة الإسلامية على الترابط بين أفراد الأسرة باعتبارها أساس المجتمع، والخلية الأولى في تكوينه.

الدكتور عبدالفتاح العواري، عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، يؤكد أن الشريعة الإسلامية حرصت على تعزيز التماسك الأسري، وأحاطت ذلك بسياج منيع، خصوصا أن التماسك والترابط بين أفراد الأسرة الواحدة يمثلان لبنة كبيرة في بناء الدولة والوطن.

مسؤولية مشتركة

وأوضح الدكتور العواري أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيهما كثير من النصوص التي تبين مكانة الرجل كرب للأسرة يتحمل المسؤولية كاملة نحو زوجته وأولاده.

د. العواري: شريعتنا الإسلامية جعلت حماية الأسرة مسؤولية مشتركة

وأيضا تحث الزوجة على أن تتحمل مسؤولياتها تجاه أولادها وزوجها وماله وعرضه، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

وأضاف أن من يفرط في واجباته نحو أسرته من كلا الطرفين يكون آثما، وفي الحديث: «إن الله سائل

كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (أخرجه النسائي في الصحيح، وابن حبان في صحيحه).

وأشار إلى أن رعاية الأسرة وحمايتها من التفكك والانهيار مسؤولية دينية شرعية وواجب مقدس لا تفريط فيه، ومن يفرط فيه من كلا الطرفين يبوء بإثم تفريقه. فقد أوجب الشرع الحنيف واجبات على الرجل والمرأة، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨).

وتابع: كثير من الآيات والأحاديث واضحة في دلالتها ما يجب على الرجل نحو المرأة، وما يجب على المرأة نحو الرجل، فنساء النبي ﷺ حينما قمن بتظاهرة عليه للمطالبة بزيادة نفقاتهن، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم:٤)، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (الأحزاب:٢٨-٢٩)، حتى تتماسك الأسرة وتنشئ جيلا صالحا وأفرادا مترابطين متماسكين، وإن من يتخلى عن دوره فقد يخرج أولاده إلى المجتمع كقنابل موقوتة، تهدم ولا تبني، تخرب ولا تعمر.

د. إبراهيم البيومي: تأثير سلبي للإعلام والدراما والظروف الاقتصادية

واستكمل: كما حددت الشريعة الإسلامية علاقة الأبناء بالآباء والأمهات، لأن الفطرة السليمة عند الأبوين جعلت العاطفة لديهم جياشة، لكن جاءت الوصية للأبناء تجاه الآباء والأمهات، حيث قال الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤).

كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف:١٥).

وقال تعالى أيضا موصيا الأبناء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ

د. الحديدي: الأسرة نواة المجتمع وركنه الركين

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء:٢٣)، حيث قرن الله تعالى الإحسان للوالدين بالتوحيد.

نسيج المجتمع

وقال د. أسامة الحديدي، مدير مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية، ومدير وحدة لم الشمل بالأزهر إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه واصطفاه على الخلق، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

وأضاف أن من مقاصد الشريعة الإسلامية أن نحافظ على النسل، وهذا لا يأتي إلا من خلال أسرة مستقرة ومستقيمة، استقامت لها أسباب الحياة بناء على هذا التسخير الرباني، استقامت هي في حياتها حتى استقرت لها الحياة واستقر لها الكون.

وقد أمرنا النبي الكريم ﷺ بالمحافظة على هذا النسيج لأن الأسرة هي نواة المجتمع وركنه الركين، وحجر الزاوية في المجتمعات كلها.

فإذا كانت هناك أسرة مستقرة كانت هناك مجتمعات آمنة وناجحة، وفق ما لفت مدير وحدة لم الشمل، مؤكدا أن الله تعالى بيّن الترابط والتماسك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١). وهذه الآيات توضح أن هذا السكن هو الدافع إلى الترابط والتماسك الأسري، والمودة والرحمة هما السكن الذي نتحدث عنه.

وأشار إلى أن العنف في المعاملة بين أفراد الأسرة ينتج عنه الكثير من المشكلات، أولها الجريمة الأسرية، وانحراف الأبناء، والتفكك الأسري، لذلك يجب أن ترسخ في الأذهان الفكرة السليمة التي يجب أن تعمل الأسرة من خلالها حتى يتحقق لها استقرارها، ويحقق أمنها وأمانها وسلامها النفسي وتسامحها الداخلي، حتى ينعم الأبناء بحياة هانئة بعيدا عن التشويش الفكري والعقلي الذي يحول بينهم وبين تحصيل أفكارهم النافعة.

وشدد الحديدي على ضرورة أن يقوم كل من الآباء والأمهات والأبناء بدورهم من حقوق وواجبات حتى يتحقق الترابط المطلوب لهذه الأسرة، ونقتدي بالرسول الكريم ﷺ في معاملاته مع أبنائه وزوجاته.

البوصلة غائبة

وفي سياق متصل، قال الدكتور إبراهيم البيومي، أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية إن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمعات، مؤكدا أن الدراسات الاجتماعية أثبتت خلال الثلاثين عاما الماضية أن الأسرة تتعرض للتفسخ والضعف وتدهور الترابط داخل الوحدة الأسرية ذاتها.

وليد عبدالمقصود: الأسرة مستهدفة ويجب حمايتها وإعادة الاعتبار إليها

وأوضح أن الظروف الاقتصادية هي العامل الأول في الانهيار الأسري، حيث إن أغلب حالات الطلاق والجريمة داخل الأسرة كان سببها العامل الاقتصادي، مؤكدا أن ضعف التنشئة والتربية للأسرة يعد من العوامل الأخرى التي تتسبب في هذا الانهيار.

وأكد أن الأجهزة المعنية بشؤون التربية والتنشئة والثقافة والإعلام في كثير من المجتمعات العربية تعمل عكس وظيفتها، حيث تسهم في إضعاف الأسرة وتفكيكها وليس في تقويتها وتعزيزها وتماسكها، فنجد الإعلام يركز على نشر الحوادث التي تعمل على الانهيار الأسري والتفكك، بهدف الإثارة، ورفع نسبة المشاهدات، وهذا الأمر ينشر الجريمة ويكررها، وهناك أدبيات غائبة فنشر قصص الجرائم يجب أن يتم بشكل معين وطريقة محددة، تحت ميثاق أخلاقي للنشر بشكل عام، والجريمة الأسرية بشكل خاص، حتى لا تكون مدرسة لصغار المجرمين.

د. علاء الغندور: دور محوري للأم في حماية الأسرة وتماسكها

وأشار إلى أن المادة الدرامية المطروحة حاليا في غالبية الأعمال الفنية من مسلسلات وأفلام تهدم بنيان الأسرة وتعزز الانفلات الأخلاقي، ويغيب عن معظمها القيام بتوصيل رسالة هادفة لمصلحة المجتمع، خصوصا على المستوى الاجتماعي، مشددا على ضرورة تضافر الجهود في حل الأزمات الاقتصادية، إلى جانب تدعيم الرسالة التربوية والتنشئة الأخلاقية والقدوات السلوكية، بالإضافة إلى مراقبة المواد الفنية التي تقدم للجمهور.

وسائل «الخراب الاجتماعي»!

إلى ذلك، أكد وليد عبدالمقصود مسؤول حملة «معا لإنقاذ الأسرة»، أن هناك غيابا للتماسك الأسري في ظل وجود وسائل التواصل الاجتماعي، التي جعلت كل فرد من أفراد الأسرة بمعزل عن الآخر، وأصبحت الأسرة متواجدة ظاهريا، وفي الحقيقة كل فرد يعيش في عالمه الافتراضي، واصفا إياها بوسائل «الخراب الاجتماعي»!

وأوضح أن تدخل الأطراف الخارجية والخرس الزوجي ساهما بشكل كبير في التفكك الأسري في ظل غياب المحبة والرحمة والمودة، مؤكدا أن سوء الاختيار نتيجة لمعايير غير صحيحة، وغياب القيم، وانتشار المواد المخدرة من أبرز التحديات التي تواجه الأسرة العربية أيضا.

وشدد على ضرورة الابتعاد عن إدمان وسائل التواصل الافتراضي، بوضع روشتة علاج تتضافر فيها الحكومات العربية ووسائل الإعلام المختلفة، إلى جانب ضرورة تدريس مادة «التربية

الأسرية» على مستوى العالم العربي في جميع مراحل التعليم، تحت إشراف علماء الدين وخبراء النفس والاجتماع والأسرة، بالإضافة إلى ضرورة وضع دورات إلزامية للمقبلين على الزواج في المراكز النفسية والاجتماعية والأسرية، مع الحاجة إلى توعية إعلامية لتغيير فكرة المراكز النفسية في الأذهان لدى المجتمعات العربية كونها أصبحت إحدى وسائل تحضر الأمم، حتى يعود التماسك الأسري كما كان موجودا في السابق، مع ضرورة وضع حلول جذرية للجريمة الأسرية، والدراما التي تحتوي على العديد من مشاهد العنف ضد المرأة والبلطجة والدعارة والأغاني والتي تنعكس سلبا على الأسرة، بالإضافة إلى التطبيقات المشبوهة مثل التيك توك وخلافه التي تسببت في الانهيار الأسري، لذلك فإننا بحاجة إلى جهود كبيرة لاجتياز هذه الأزمة.

خطر الندية

الاستشاري النفسي الدكتور علاء الغندور يرى أنه عند غياب تأهيل الأم في تربية الأبناء تحدث الكثير من المشكلات، وعندما تغيب دورات التأهيل النفسي والسلوكي والتربوي للمقبلين على الزواج تحدث الثحديات.

وذكر أنه في القرن الماضي كانت نسبة تعليم المرأة ضعيفة، لكنها كانت تتعلم كيف تكون طاعة الزوج، وبالفطرة كانت تؤمن بالتضحية في الحياة من أجل إنشاء جيل رائع وعظيم، لكن مع بدء زيادة تعليم المرأة والتوعية والإعلام، وسن بعض التشريعات الخاصة بها، بدأت الندية والتمرد والصراع، حيث كان الشعار في البداية «أنا وأنت إلى الأبد» فأصبح «أنا أو أنت لأقرب فرصة»، فزادت معدلات الطلاق!

وأكد أن التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج ضرورة كبيرة كونهم يتلقون الكثير من المعلومات والتدريب على كيفية التعامل.

وأوضح أن الكثير من الأبناء لديهم مشاكل نفسية كبيرة بسبب صراخ الأم الدائم، والمشاجرات بين الزوجين، الأمر الذي يجعل الطفل يحتفظ بهذه المشاهد في عقلة الباطن فينشأ شابا معقدا نفسيا قد يصل به الأمر إلى الانتحار أو الاستقطاب أو الاكتئاب وارتكاب الجريمة، ومن هنا ندق ناقوس الخطر.

وطالب الغندور بضرورة الفحص النفسي والمتابعة للأشخاص كل ستة أشهر، على غرار الفحص الجسدي، مشددا على ضرورة عمل لائحة إجبارية على جميع المسلسلات لتغيير الاستراتيجية، خصوصا أن إلقاء الضوء على الجريمة يساعد على انتشارها، بالإضافة إلى تربية الأبناء تربية تربوية حديثة، بحيث لا يتشاجر الزوجان أمام الأطفال، وعدم التفرقة بين الأبناء، وتدخل الأشخاص الحكيمة التي لديها القدرة على الحل وتوازن الأمور عند المشكلات، إلى جانب بث برامج توعوية تتعلق بالتماسك الأسري في وسائل الإعلام.